

# الجهل بمعنى التوحيد وعواقبه الوخيمة

يقول: إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة. يعني: أن هناك أحاديث كثيرة توضح معنى هذه الشهادة، وأن أكثر الناس- الذين في زمان المؤلف- يجهلون هذه الشهادة. أما الكفار: الذين في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنهم يعلمون معنى لا إله إلا الله؛ ولذلك في الحديث الذي في الصحيح، لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { يا عُمُّ، قل: لا إله إلا الله .. كلمة أحاج لك بها عند الله } كان عنده بعضٍ من المشركين، فقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ يعني: أن عبد المطلب كان له آلهة، كان يعبد عدداً من الآلهة، فعرفوا أنه إذا قال: لا إله إلا الله. أبطل إلهية تلك الآلهة: كالقرآن، ومناة، واللات، وهبّيل، وغيرها من المعبودات التي كانوا يعبدونها، يعرفون أن كلمة لا إله إلا الله تبطل ما جنت عليه عباداتهم، ويرد عليهم، فعند ذلك.. ذكروه هذه الحجة التي هي تقليد الآباء، الحجة الملعونة! حجة المشركين الذين يقولون: { إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةً وَإِنَّا عَلَىٰ أُتْرِفَهُمْ مُفْتَدِعُونَ }. أما أهل زمان المؤلف؛ فإنهم يقولون: لا إله إلا الله؛ ولكن يجهلون جهلاً كبيراً -جهلاً مركباً، أو جهلاً بسيطاً-؛ فيجهلون معنى: لا إله إلا الله، ويعتقد كثير منهم أنَّ مَنْ قال: لا إله إلا الله بلسانه فإنه يكون قد آمن، وقد وَحَدَ الله؛ ولو أشرك؛ ولو عبد غيرَ الله. فجهلوا أَوْلَأَ: معنى الإله الذي في كلمة: لا إله إلا الله. وجهلوا ثانِيَاً: معنى الشرك الذي هو: صرف شيء من العبادة لغير الله. وجهلوا ثالِثاً: معنى العبادة التي هي: خالص حَقُّ الله -تعالى-. وكذلك معنى الدعاء الذي هو شرِكٌ كما أخبر الله -تعالى- بذلك. وإذا قرءوا القرآن، وفيه الآيات التي فيها التهْيُّـ عن دعاء غير الله، وعن عبادة غير الله، يقولون: نحن لا نعبد إلا الله، ونحن لا نُشْرِكُ بالله شيئاً، ونحن ليس لنا إله إلا الله!. وهذا جهل؛ وإنهم قد جعلوا تلك المعبودات آلهة؛ وإن لم يُسمُّوها آلهة؛ فعندهم القبور التي رفعوا بناعها باعًا أو باعئن، ثم شَيَّـوها من بالجص ونحوه، ثم إذا جاء الليل أسرجوها عليها سُرْجًا طوال الليل، ثم إنهم يأتون إليها، ويصلّـون عندها، ويَدْعُـونَ أن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في المساجد، ويَدْعُـونَ أن ذلك المقبور يَتَسَبَّـ في قبول صلواتهم، وفي رفعها، وفي مُضايقَـةِ أجراها. وكذلك أيضاً يَدْعُـونَ أصحابها دعاءً واضحاً، وهذا هو المشاهد، والمشهور. فذكر عن المؤلف -رحمه الله- كان في بلدة العيينة قبر، يقولون: إنه قبر زيد بن الخطاب أخو عمر ما ظهر هذا القبر إلا يمكن في القرن العاشر! جاءهم مَنْ وسوس لهم، وقال: زيد بن الخطاب قُـتِـلَ في حرب اليمامة فالتمسوا له قبراً، فجاءهم إنسان، وقال: هذا هو قبره؛ مع أن الذين دُفِـنُوا في اليمامة وفُـتـلـوا خمسماة من الصحابة الذين قتلوا، واشتبهت قبورهم، كلهم دُـفـنـوا ولم يُـدـفـنـوا في مكان واحد. فمن الذي أدرأكم أن هذا قبر زيد؟ ثم إذا قُـدـرـ أنه قبر زيد فهل زيد يملك لنفسه نفعاً أو ضرراً؟ كلا، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً. فذكروا أنه إذا خرجوا إلى القبر، وصاحوا: يا زيد يا زيد بن الخطاب اشفع لنا. يا زيد بن الخطاب أغتنا! أقبل دعاءنا! فكان يقول -وهم يسمعون- الله خير من زيد الله أقرب من زيد الله أسمى من زيد الله أجود من زيد ولا يقدرون أن يقولوا: كذبت! لأنهم يعلمون أن الله -تعالى- رب زيد وَرَبُّ كل الخلق. فعلهم هذا.. يَدْعُـونَ أنه ليس عبادة! يقولون: ما عبادنا زيداً ودعاؤنا هذا ليس عبادة. جهلوا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- { الدعاء هو العبادة } وقرأ قوله الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمْ أَذْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَّـلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ } فبدأ الآية بـ { أذْعُونِي } وختمها بـ { عِبَادَتِي } { يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي } أليس هذا دليل على أن الدعاء عبادة؟ بلـ، إنه واضح أن كل من دعا غير الله فقد عبد ذلك المَدْعُـ، ولو سَمِـيـ دعاء ما سَمَـاه! فنحن نقول: إنه شرك؛ ولو سميت وهو تَوْسُـاً، وَتَكْرَـاً، وَبَيْـرَـاً، واستشفاعاً. وإن هذا الذي تدعونه إله؛ ولو سميت وهو سيداً؛ ولو سميت وهو ولية؛ ولو سميت وهو مَشْهَـداً!! سموه ما شئتم، فقد وقعت في الشرك -شتئتم أم أبيتمـ؛ إنه إله اخذتموه إليها مع الله، ولا يبيح لكم هذا الفعل.. كونكم غيرتم الأسماء إلى هذه المسميات؛ فإن العبرة بالمعنى لا بالاسم، العبرة بالحقائق لا بالأسماء. فَهُـمْ لما سموا تلك القبور مشاهد زَـينـ لهم الشيطان التَّـعْـبُـ عندها، وقال: سموها مشاهد، ولا تسموها آلهة، وسموا أفعالكم تبركاً، ولا تسموها عبادة؛ لأن العبادة لا تصلح إلا لله، وسموه تَوْسُـاً، ولا تسموه تَذَلـلاً. فغيروا الأسماء، ووافقوا المشركين الأولين موافقة كُـلـيـةً كاملة، وهم يحسبون أنهم على حق.